

قضية اللفظ والمعنى عند الجرجاني في الدراسات النقدية الحديثة (دراسة وتحليل)  
The Issue of Pronunciation and Meaning According to Al-Jurjani  
In Modern Critical Studies (Study and Analysis)

د. زهير محمد العرود \*

Dr.zuhair mohammad aloroud

جامعة عجلون الوطنية /عجلون/الأردن

Ajloun National University/Ajloun/Jordan

Zuhairoroud@yahoo.com

تاريخ النشر: 2024/03/02	تاريخ القبول: 2024/01/18	تاريخ الإرسال: 2023/11/12
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

قضية اللفظ والمعنى من أبرز القضايا النقدية الشائكة التي تناولها النقد الأدبي دراسة وتحليلاً ، فقد شغلت بالدارسين ، وأثارت جدلاً واسعاً وكبيراً بينهم ، وما تزال . ولعل اهتمامهم بها يعود إلى أن اللفظ والمعنى عنصران مميّزان في العمل الأدبي .

تقوم هذه الدراسة بعد البحث والتقصي على مناقشة ودراسة هذه القضية عند الجرجاني الذي ترك بصمة واضحة على خارطة النقد الأدبي في الدراسات النقدية الحديثة ، وذلك من خلال بسط آراء النقاد المعاصرين ومناقشتها للوصول إلى تصور واضح ودقيق لهذه القضية عنده ؛ لما أثارت من جدل كبير بين نقادنا ودارسينا المحدثين .

وقد خلصت الدراسة إلى أن الجرجاني قد جمع بين اللفظ والمعنى عن طريق ما يحدث بينهما من التحام في الصياغة والتصوير ، فلا اللفظ وحده يجدي ولا المعنى وحده يغني ، وإنما يسمو الكلام بهما . وبذلك قضى على تلك الثنائية التي ظهرت في نقدنا القديم والحديث ، واقترب من الدرس الحديث الكلمات المفتاحية : قضية اللفظ والمعنى ، عبد القاهر الجرجاني ، النقد المعاصر .

Abstract

The issue of pronunciation and meaning is one of the most thorny critical issues that literary criticism has studied and analyzed. It has occupied the minds of scholars and sparked widespread and great controversy among them, and it still

\* د. زهير محمد العرود Zuhairoroud@yahoo.com

does. Perhaps their interest in it is due to the fact that pronunciation and meaning are two distinct elements in a literary work.

This study, after research and investigation, is based on discussing and studying this issue with Al-Jurjani, who left a clear imprint on the map of literary criticism in modern critical studies, and that is by extending the opinions of contemporary critics and discussing them to reach a clear and accurate perception of this issue for him. Because of the great controversy it raised among our modern critics and scholars

**Keywords:** The issue of pronunciation and meaning, Abdul Qaher Al-Jarjani, contemporary critics.



## المقدمة

تعد قضية اللفظ والمعنى من أعقد القضايا النقدية التي تناولها النقد العربي قديما وحديثا ؛ فقد شغلت النقاد و البلاغيين منذ عهد مبكر ، وانقسموا فيها طوائف متعددة ، وكتبت فيها دراسات و مقالات عديدة؛ ويعود الاهتمام الكبير بهذه القضية إلى كون اللفظ والمعنى ركنين أساسيين من أركان العمل الأدبي لا يمكن الفصل بينهما.

وقد أثارَت هذه القضية عند الدارسين عدّة تساؤلات مثل :

- هل المعنى الأدبي برمته لفظ أم معنى ؟
- هل يعتمد الناقد في عملية التقويم على اللفظ دون المعنى ؟
- ما مسوغات الناقد للانحياز إلى أحد طرفي العمل الأدبي ؟

ومواقف النقاد من قضية اللفظ والمعنى ليست جديدة ؛ لأنها ليست تفسيرا لظاهرة علمية ولا هي مشكلة جزئية كمسألة الاختيار ، وبناء على ذلك فإن هذه الدراسة تقوم بصورة أساسية على مناقشة هذه القضية الشائكة عند واحد من عمالقة نقادنا القدامى البارزين الذين تركوا بصمات لا تمحى على خارطة النقد العربي ، وهو عبد القاهر الجرجاني في الدراسات النقدية الحديثة . وذلك من خلال بسط آراء النقاد المعاصرين ومناقشة آرائهم للوصول إلى تصور واضح و دقيق لهذه القضية عنده ؛ لما أثارته من جدل كبير بين نقادنا ودارسينا المحدثين .

والله أسأل التوفيق والسداد في القول والعمل ، والحمد لله الذي منحنا العقل نعمة فوق النعم.

قضية اللفظ والمعنى عند الجرجاني في الدراسات النقدية الحديثة

لقد شغلت ثنائية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني النقاد والدارسين المحدثين ، واختلفت مذاهبهم فيها اختلافا كبيرا ونستطيع أن نصنفهم بموجبه إلى ثلاث فئات:

أ- فئة تذهب إلى أنه من أنصار اللفظ.

ب - فئة تذهب إلى أنه من أنصار المعنى.

ج- فئة تذهب إلى أنه يجمع بين اللفظ والمعنى جمعا محكما.

ومما يلحظ أن عددا من أولئك النقاد والدارسين قرن الجرجاني بالجاحظ في فهمه لهذه الثنائية الكبرى؛ فمنهم

من عدّه مؤيدا للجاحظ من حيث اهتمامه باللفظ دون المعنى مثل أحمد بدوي ، إذ يقول: "إن عبد القاهر

كالجاحظ تماما في العناية بالصياغة ، يراها هي التي تميز النص وترفعه على غيره 1 . ومنهم من عدّه معارضا له

من حيث اهتمامه بالمعنى دون اللفظ مثل محمد زغول سلام إذ يقول: إن الجرجاني أخذ كثيرا من الجاحظ،

ولكنه خالفه في اتجاهه العام من حيث الاهتمام باللفظ، أو العبارة و الأسلوب 2. وثمة فريق ثالث وهم الفئة

الغالبية 3 عدّه مؤيدا و مناصرا له من حيث ربطه بين اللفظ والمعنى ربطا محكما ، ومنهم على سبيل المثال أحمد

مطلوب ، إذ يقول فعبدا لعبد القاهر ليس ممن يتأرجح بين اللفظ والمعنى، بل هو جمع بينهما و سوى بين

خصائصها وجعلها شيئا واحدا يعتمد على الصياغة التي نضجت .بحوثه وليس بينه وبين الجاحظ خلاف

فكلاهما يرى الصياغة الأدبية هي التي يتفاضل بها أصحاب الكلام" 4 .

ولعل لهذا الربط بين الجرجاني والجاحظ أسبابه ومبرراته ، فالجاحظ كما نعلم أول من تناول قضية اللفظ

والمعنى بشيء من الجراءة في نقدنا القديم ، ثم تبعه النقاد والبلاغيون في ذلك ، وأخذت القضية تتشعب و

تتفرع إلى أن وصلت بصورتها النهائية عند الجرجاني ، حيث تناول في دراسته لها آراء النقاد الذين سبقوه

وخصوصاً الجاحظ وابن قتيبة وناقشها بوعي نقدي دقيق

وسنحاول دراسة آراء النقاد المحدثين في هذه القضية عند الجرجاني، والوقوف على مدى صحتها أو خطئها

من النصوص التي استشهدوا بها وبنوا آرائهم عليها ، ومناقشتها مناقشة متأنية.

**الفئة الأولى** ويمثلهم أحمد أحمد بدوي ، حيث يقول: "إن عبد القاهر أحد نقاد العرب الذين يعنى معظمهم

بالصياغة اللفظية ، ويرونها المظهر الأساسي في الأدب ، وإذا كان الجاحظ قد ادعى أن المعاني معروفة ملقاة

في الطريق ، فذلك، لكي يبرز ما للصياغة من أهمية في الأدب ، ولكنه لم يهمل جانب المعنى إهلاً تاماً ، كما

قد يبدو من عبارته 5 .

ويرى أن الجرجاني يقترب من الجاحظ قريبا بينا ، بل إنه ينقل رأي الجاحظ نفسه مؤيداً بها فكرته ؛

ويستشهد الباحث على ذلك بعبارة الجرجاني فأعلمك أن فضل الشعر بلفظه لا بمعناه ، وأنه إذا عدم الحسن

في لفظه ونظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة 6 ، ويؤكد أن الجرجاني صرح بشدة بعنايته بالصياغة في قوله

"معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء يقع التصوير

والصوغ فيه كالفضة و الذهب يصاغ منها خاتم أو سوار فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم ،

وفي جودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة - كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه . وكما أننا لو فضلنا خاتماً على خاتم بأن يكون فضة هذا أجود ، أو فضة أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه ألا يكون تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام . وهذا قاطع فأعرفه"7.

إن هذا النص الذي يستشهد به أحمد بدوي على تفضيل الجرجاني للألفاظ دون المعاني ، قد ورد في سياق رد الجرجاني عن أولئك النقاد الذين رجحوا المعنى على اللفظ ، ووقفوا عند حدود المعنى في عمومية ليحكموا به على جمال الموضوع أو قبحه مغفلين شأن الصياغة ، فهو لم يقبل موقفهم سواء من فضل الكلام لشرف معناه أدباً وحكمة وكان غريباً أو نادراً وأو من فضله من أجل معناه بعامة إذا راق هذا المعنى ، ولو كانت صياغته ركيكة واهية النسيج . ولعلّ منطلقه في ذلك كان دينياً إذ إن التحيز لجانب المعنى وإهمال اللفظ فيه تبحر كبير على الإعجاز القرآني . لذلك فهو لم يقل بشأن اللفظ وميزته فقال : "واعلم أنهم لم يبلغوا في إنكار هذا المذهب ما بلغوه إلا لأن الخطأ فيه عظيم وأنه يفضي بصاحبه إلى أن ينكر الإعجاز ويبتل التحدي من حيث لا يشعر 8 وليس عبد القاهر من أولئك النقاد الذين ينحازون إلى جانب اللفظ ويتناسون المعاني التي تدل عليها الصياغة الأدبية ؛ لأن في ذلك أيضاً مساساً بقضية الإعجاز إذ لو اعتدها بالألفاظ في ذاتها لما أمكن تميز القرآن من غيره ، من حيث ألفاظه ، حيث يقول : "إن القول بأن المزية في حسن النظم والتأليف إنما كانت للعرب من جانب العلم باللغة وهو خط عظيم وغلط منكر يفضي بقائله إلى رفع الإعجاز من حيث لا يعلم" 9 وقد هاجم الجرجاني أنصار اللفظ في قوله ثم نرى الذين لهجوا بأمر اللفظ قد أبوا إلا أن يجعلوا النظم في الألفاظ ، فترى الرجل منهم يرى أن الإنسان لا يستطيع أن يحجى بالألفاظ مرتبة إلا من بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه 10 فلا يتصور أن يكون منهم . وأرى أن أحمد بدوي قد أساء بداية فهم نظرية الجاحظ "المعاني المطروحة فتسرع في حكمه على الناقدين كليهما.

**أما الفئة الثانية** فيمثلهم بدوي طيبانه ، حيث يقول : "كان العسكري أشد العلماء تغالباً في تقدير اللفظ ، .. ولهذا وجدنا فريقاً من المغالين أيضاً في تقدير المعنى يجعلونه كل شيء ويحدون اللفظ فلا يجعلونه شيئاً ، وقد تزعم هذا الفريق إمام من أئمة البلاغة وعلم من أعلام الفكر هو عبد القاهر الجرجاني الذي عالج الموضوع بأسلوبه الكلامي ، وتشيع للمعنى" 11 و يقول في موضع آخر : إن إلحاح عبد القاهر على الفكرة على هذا النحو كان في أغلب الظن رد فعل للرأي الذي نادى به الجاحظ وهو أن المعاني مطروحة في الطريق ولما كان الجاحظ مغالياً في تقدير اللفظ كان عبد القاهر مغالياً في تقدير المعنى 12.

وقد بنى الباحث رأيه هذا على النص السابق الذي استشهد به أحمد بدوي "معلوم أن سيل....." وعلق عليه بقوله إن الجرجاني يصر مواضع من دلائل "الإعجاز" بأن فضيلة الكلام للفظه لا لمعناه ويكرر أيضاً

في مواضع كثيرة أنّ الفصاحة راجعة إلى المعنى دون اللفظ، ويراه الباحث متناقضا في موقفه، وأن أحد النقاد القدامى قد تنبه لهذا التناقض وهو الخطيب القزويني<sup>13</sup>.

وقد أورد الباحث نصوصاً أخرى للجرجاني في كتابه عن أبي هلال العسكري، يدلل فيها على رأيه كقول الجرجاني وأنت إذا أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال، ولكنك إذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وإزاء ناظرك<sup>14</sup> وقوله أيضا فإن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب في اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق<sup>15</sup>.

وثمة ناقد آخر يرى أنّ الجرجاني كان من أنصار المعنى، إذ يقول: "ونظرية عبد القاهر في المعاني والنظم كما يصورها كتاب "دلائل الإعجاز" رد فعل أو ثورة على أصحاب البديع أو أصحاب نظرية اللفظ التي سادت في ميدان النقد والبلاغة تقريبا في القرن الرابع".<sup>16</sup> ويورد الباحث نصوصاً عديدة من كتاب "دلائل الإعجاز" تتحدث كلها عن إعجاز القرآن، والاهتمام بالاستعارة والبلاغة والفصاحة، ونصا آخر من كتاب "أسرار البلاغة" وهو قول الجرجاني وما شرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل إلا لأتمها يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما، ويحتكان على من زاولهما والطالب لهما من هذا المعنى ما لا يحتكم ما عداها<sup>17</sup>. 17 و يخلص من خلاله إلى أنّ الجرجاني "يؤكد جانب المعنى والفكر في الأدب والفن ويحرص على إظهار خطورته، وأنّ الحسن في الحقيقة قائم عليه"<sup>18</sup>.

ومن أنصار هذه الفئة أيضاً محمد خلف الله، إذ يقول "قلنا إن عبد القاهر في رأينا قد تصور موضوع الإعجاز جزءا من ظاهرة أوسع هي طريقة نظم البيان عامة، فجاء كتابه دلائل "الإعجاز" لا بحثاً خاصاً من بحوث المتكلمين والفقهاء ولكن بحثاً عاماً في ركن من أهم أركان النظرية الأدبية: هو أسلوب تأليف الكلام. وقد عالج فيه طريقة نظم الكلام وترتيب معانيه.... الخ محاولاً في ثنايا كل ذلك أن ينقل الاهتمام من جانب اللفظ إلى جانب المعنى<sup>19</sup>. ويدلل الباحث على ذلك بنصين وردا في حديثنا عن بدوي طبانة وهما الألفاظ أوعية للمعاني "و "خدم لها وتابعة لها" ولا حاجة للتكرار.

وأرى أننا إذا تأملنا رأينا أنّ الألفاظ تتبع المعاني حين يسبق الفكر لإيجاد أثر أدبي أو قاعدة علمية، حين تصدر آثارنا عن صنعة، أما حين ترتجل الشعر أو الخطب فإنّ الألفاظ تلد المعاني فليس معنى قول الجرجاني أنّ الألفاظ تابعة للمعاني وخدم لها أنّه يفضلها فنستدل على ذلك أنّه من أنصار المعاني، ولو كان الأمر كذلك لما جعل فضيلة المعاني تأتيا من مراعاة معاني النحو "توخي معاني النحو في معاني الكلم وتوخيها في متون الألفاظ محال"<sup>20</sup>. ويعلل الجرجاني ذلك بقوله: "وذلك أنّه لو كانت المعاني تبعا للألفاظ في ترتيبها، لكان محالاً أن تتغير المعاني والألفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغيير من غير أن تتغير الألفاظ وتزول عن أماكنها علمنا أنّ الألفاظ هي التابعة والمعاني المتبوعة<sup>21</sup>.

وقد ذكرنا في بداية حديثنا أنّ عبد القاهر نفسه قد تحامل على أولئك الذين انحازوا إلى جانب المعنى، وأهملوا اللفظ فكيف يتصور أن يكون منهم؟ استمع إليه ماذا يقول: "وأعلم أنّ الداء الدوي الذي أعيا أمره في هذا

الباب: غلط من قَدّم الشعر بمعناه ، وأقل الاحتفال باللفظ ، وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى ، يقول : ما في اللفظ لولا المعنى ؟ وهل الكلام إلا معناه ؟ . وأعلم أنا وإن كنا إذا اتبعنا العرف والعادة وما يهيجس في الضمير وما عليه العامة أَرانا ذلك أن الصواب ، وأن التعديل ينبغي أن يكون على المعنى ، وأتّه الذي لا يسوغ القول بخلافه. فإن الأمر بالضد إذا جئنا إلى الحقائق وإلى ما عليه المحصلون "22.

**وأما الفئة الثالثة والأخيرة فهي الفئة الغالبة ويمثلها عدد كبير من النقاد والدارسين المحدثين ، كطه حسين إذ يقول في مقدمته لكتاب نقد النثر : " يبدأ بحثه بنقض نظريتين قديمتين : إحداها تجعل جبال الكلام في اللفظ ، والأخرى تجعله في المعنى. ثم ينتهي به البحث إلى أن الجمال ليس في اللفظ ولا في المعنى ، وإنما هو في نظم الكلام أي في الأسلوب "23.**

ومن أنصار هذه الفئة أيضا محمد غنمي هلال حيث يقول : "فني كتب الجاحظ بذور لأفكار عبد القاهر جميعها ، ولكن تجلت أصالته بعد ذلك في ثورته على معاصريه، ممن اشتطوا في نصرة اللفظ حتى غفلوا به عن الغاية ، ومن اعتدوا بما يروقه من معنى أو من حسن مجازي في الألفاظ ، مغفلين أمر الصورة الأدبية . وكان لعبد القاهر فضل لا يدانيه فيه ناقد عربي في توثيق الصلة بين الصياغة والمعنى. وفي الاعتداد في ذلك بالألفاظ من حيث دلالتها وموقعها مجازية كانت أم حقيقة ، وبيان تأثيرها في تأليف الصورة الأدبية "24. وشكري عياد إذ يقول : " فعبد القاهر إذا - بعد أن قرر أن الألفاظ لا تنفك عن المعاني ، وأتّه من الخطأ تصور بلاغة أو فصاحة في اللفظ من حيث هو صوت مسموع - قد ربط بين اللفظ والمعنى في الشعر ربطا أحكم حين جعلها بمنزلة المادة والصورة ، وبمنزلة الجسد والروح 25 . وبالروح نفسها نجد إحسان عباس يقول : " كانت نظرية النظم أو (التأليف) عند عبد القاهر إنكارا لتلك الثنائية المظلة وعودة إلى الوحدة أي أن يعنى الناقد برؤية الصورة مجتمعة من الطرفين معا دون فصل بينهما ؛ وتلك هي فيما يبدو نظرية الجاحظ "26.

كما نجد أحمد مطلوب يؤكد ذلك بقوله: إن عبد القاهر الجرجاني المؤمن بنظرية النظم وتوخي معاني النحو لا يمكن أن يميل إلى الألفاظ كل الميل فيجعلها أساساً للمفاضلة، ولا يمكن أن ينجح إلى المعنى الخالي من كل مزية وإن كان هو الذي يخطر في ذهن ثم يتبعه اللفظ ، ولذلك مال إلى ما أشار إليه الجاحظ وهو الصياغة والتصوير ليوفق بين اللفظ والمعنى ويجمع بينهما بعد أن رأى جماعة تسرف في تقدير اللفظ وأخرى في تقدير المعنى . وهو في هذه المسألة قد قضي على ثنائية اللفظ والمعنى التي شغلت النقاد القدامى وقتا طويلا "27 . ويؤكد يوسف بكار الفكرة ذاتها بقوله : ولما كان النظم عند عبد القاهر يقوم على عنصري اللفظ والمعنى فقد ربط بينهما ربطا محكما " 28 ويضيف قائلاً إن " نظريته " تقوم على التآزر التام بين اللفظ والمعنى وهذا لا يتأتى إلا بتبعية الألفاظ للمعاني وهو لا يعني الترجيح ، لأن أحد الأمرين لا يقوم إلا بالآخر ، - فهذا صنوان وشريكان في الأهمية " . 29 وقد ساق هؤلاء النقاد من الأدلة ما يؤكد فهمهم لهذه القضية عنده ومنها قوله : "

.. فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب في اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق<sup>30</sup>. وقوله: "وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتاج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم، بمواقع الألفاظ الدالة عليها ف النطق " 31 .

ومن الأدلة أيضا قوله: "الألفاظ خدم المعاني، والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة لسياستها المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهمته، وأحاله عن طبيعته " 32 وقوله: وليت شعري هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني، وهل هي إلا خدم لها ومصرفة على حكمها، أو ليست هي سمات لها، و أوضاعاً قد وضعت لتدل عليها ؟ فكيف يتصور أن تسبق المعاني وأن تتقدمها في صور النفس؟ إن جاز ذلك أن تكون أسامي الأشياء قد وضعت قبل أن عرفت الأشياء وقبل أن كانت. " 33

ويرى أحمد مطلوب أن في تحليل الجرجاني للآيات الثلاثة الآتية التي أوردها في كتابه "أسرار البلاغة":

ولما قضينا من منى كل حاجة	ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على دهم المهارى رحالنا	ولم ينظر الغادي الذي هو راع
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطي الأباطح

ما يوضح فكرته في المعنى الذي هو ليس محصولاً فكرياً أو عقلياً أو حكمة ومثلاً وفكرة أخلاقية، وإنما هو ما تولد من ارتباط الكلام بعضه ببعض وما نتج عنه من صور، ويظهر نزعة الأدبية ورد المزية إلى ما بين الألفاظ من اتفاق وارتباط، وهذا التحليل يختلف كل الاختلاف عن تحليل ابن قتيبة، كما أن هذا الفهم المتكامل للنص يختلف اختلافاً كبيراً<sup>34</sup>.

ويخلص إلى القول: "إن عبد القاهر في كل ما عرضه ليس من أنصار الألفاظ من حيث هي أساس كل شيء بغض النظر عن تجانس الألفاظ وتلاحمها، وإنما هو من أنصار الصياغة من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة الأدبية<sup>35</sup>. وقد أشار محمد غنيمي هلال إلى الفكرة نفسها بقوله: "وعبد القاهر يثني على هذه الآيات من حيث تآزر ألفاظها وجملها على تأليف الصورة الأدبية." 36 و أضاف قائلاً: "ومن هنا يظهر أن النظم - وهو مدار الحسن عند عبد القاهر - متميز عن المعنى في ذاته مجرداً، وعن اللفظ في ذاته منفرداً، لأنه صياغة الكلام في جمل متأزرة على جلاء الصورة المرادة<sup>37</sup> .

ويذهب يوسف بكار إلى القول: "إن من الأدلة التي تؤكد أن عبد القاهر لم يقصد بتبعية الألفاظ للمعاني إلا تأكيد الترابط بينها، التفاته إلى صنيع ابن قتيبة الذي فصل بين اللفظ والمعنى. فقد عرض عبد القاهر لمذهب ابن قتيبة وقده ليثبت لمن اتبعوه زيفه وبطلانه؛ لأن أكثر الناس فيما يفهم من كلام عبد القاهر - كانوا على مذهب ابن قتيبة واللفظيين " 38 .



مما سبق يتبين أن الجرجاني قد هاجم أنصار اللفظ هجوما شديدا، وهاجم أنصار المعنى كذلك ، وراح ينقد آراءهم بوعي نقدي ودراسة متمحصة ؛ فخرج بنظرية نقدية هي " نظرية النظم التي تقوم على أساس متين قوامه الربط المحكم بين اللفظ والمعنى دون فصل بينهما . فلا اللفظ وحده مجدي، ولا المعنى وحده يغني وإنما يسمى الكلام بهما . وهو بذلك يقترب من الدرس الحديث الذي أبطل فكرة الفصل بينهما وانتهى إلى أن الفكرة لا تكون فكرة إلا إذا سكنت إلى اللفظ، أو عبر عنها بالكلمة ، أما قبل إخضاع الفكرة للفظ ، فلا شيء هناك<sup>39</sup> . ولعلّ فيما أوردناه من نصوص وأدلة ساقها نقاد الفئة الثالثة ما يؤكد فكرتنا ويدعمها ، ومما يزيدها وضوحا قول الجرجاني : "وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه ، وكونه من أسبابه ودواعيه ، فلا يكاد يعد نمطا واحدا ، و هو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا ، أو عاميا سخيفا..."<sup>40</sup> و الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً. من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب<sup>41</sup>.

#### الخاتمة

يتضح مما سبق أن قضية اللفظ عند عبد القاهر الجرجاني قد شغلت النقاد والدارسين المعاصرين مما أدى إلى خروجهم بآراء متضاربة ونزعات متباينة ، فمن قائل إنه من أنصار اللفظ ، ومؤكد أنه من أنصار المعنى ، ومبرهن أنه جمع بين اللفظ والمعنى محكما . ولو أطال الباحث النظر وقرأ تحليل القاهر للنصوص وفهمه لبلاغة الكلام ، ودرسه دراسة مستفيضة ومتعمقة لخرج بنتيجة جوهرية توصل إليها أغلب النقاد المعاصرين ، وهي : أن الجرجاني لا يفصل بين اللفظ والمعنى في النقد الأدبي ، فهما يولدان معا وفي لحظة واحدة ولا يجوز أن يعطي أحدهما قيمة على حساب الآخر، وبذلك يكون قد جمع بين اللفظ والمعنى عن طريق ما يحدث بينهما من التحام في الصياغة والتصوير، فلا اللفظ وحده مجدي ولا المعنى وحده يغني ، وإنما يسمى الكلام بهما. وبذلك قضى على تلك الشائبة التي ظهرت في نقدنا القديم والحديث ، واقترب من الدرس الحديث .

استطاع الجرجاني بفكره الناقد أن يقترب من الرؤية المعاصرة التي تهتم باللفظ والمعنى، وترى أي تفسير يمس تركيب الألفاظ ينعكس أثره على المعنى ، وهو بذلك يتجاوز المفاهيم النقدية التي تنتصر لأحد العنصرين ( اللفظ أو المعنى ) .

#### هوامش

1. أسس النقد الأدبي عند العرب : أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر (دون تاريخ) . ص ٣٦١ .
2. تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري : محمد زغلول سلام، دارالمعرفة الجامعية دون تاريخ ) ص: ٢١



- 3 - انظر : عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده : أحمد مطلوب، الطبعة الأولى بيروت ١٩٧٣م. ص ١١٦ - ١١٧ . والنقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر - القاهرة دون (تاريخ) . ص ٢٧٢ . وتاريخ النقد الأدبي عند العرب وحتى القرن الثامن الهجري : إحسان عباس ، الطبعة الثالثة . دار الثقافة - بيروت ١٩٨١م. ص ٢٧ و٤ والبلاغة تطور وتاريخ شوقي ضيف الطبعة التاسعة دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ، ص ١٦٣ ومعالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر : محمد بركات حمدي، الطبعة الأولى دار الفكر الأردن ١٩٨٤م. ص ٩٥
- 4 - عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده: ص ١١٦ - ١١٧
- 5 - أسس النقد الأدبي عند العرب : ص ٣٦١.
- 6 - دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١ هـ) وقف على تصحيح طبعه وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا . دار المعرفة - بيروت (دون) (تاريخ) ص: ١٩٨.
- 7- المرجع السابق . ص ١٩٧-١٩٦
- 8 - نفسه. ص. ١٩٨
- 9- نفسه. ١٩٢.
- 10 - نفسه . ص ٢
- 11- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : بدوي طبائه، الطبعة الثالثة دار الثقافة - بيروت ١٩٨١ م . ص ١٨٩
- 12 - البيان العربي: به ، الطبعة الرابعة. الأنجل المصرية، القاهرة ١٩٦٨م. ص ٢٨٤ و أنظر : قضايا النقد الأدبي : يدوي طبائه ، مكتبة الأنجلو المصرية دون (تاريخ) . ص ٢٠١-٢٠٠.
- 13 - انظر قضايا النقد الأدبي : ص ٢٠٥-٢٠٦
- 14 - دلائل الإعجاز : ص ٤٩
- 15 - نفسه : ص ٤٣.
- 16 - تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري : ص ٢١٥ .
- 17- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني (٤٧١) دار المعرفة - بيروت دون تاريخ ص ١٣٦.
- 18- تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري : ص ٢٢٢
- 19- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده : محمد خلف الله أحمد ، الطبعة الثانية معي البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٠م. ص: ١١٣
- 20- دلائل الإعجاز : ص: ٢٧٦ . وانظر: ص: ٦٣-٧٣
- 21- نفسه : ص : ٢٨٥ .
- 22- المرجع السابق: ص١٩٤-١٩٥
- 23 - نقد النثر قدامة بن جعفر ت (٢٣٧هـ) المكتبة العلمية - بيروت ١٩٨٠م. المقدمة ص: ؟ وأنظر البلاغة تطور وتاريخ : ص: ١٦١ .
- وانظر : في الميزان الجديد : محمد مندور الطبعة الثالثة . دار نهضة مصر - القاهرة دون (تاريخ) ص: ١٨٨ - ١٨٩ .
- 24- النقد الأدبي الحديث : ص: ٢٧٢ . وانظر: ص: ٢

- 25- كتاب أرسطو طاليس في الشعر : حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية شكري عياد دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٧م. ص : ٢٥٢ ، و أنظر النقد الأدبي بين القدامى والحديثين مقاييسه واتجاهاته وقضاياها العربي حسن درويش ، النهضة المصرية دون تاريخ) ص٧٨ . و من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم : عثمان موافي دار المعرفة الجامعية . ١٩٩٦م. ج ١ ص : ١٢٤
- 26- تاريخ النقد العربي عند العرب من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري : ص : ٤٢٧ ، و أنظر : قضايا النقد القديم والحديث : محمد زكي العشماوي، دار المعرفة الجامعية دون تاريخ) ص ٤٨٩ والنقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري : نعمة العزاوي ، منشورات وزارة الثقافة - الجمهورية العراقية (دون) (تاريخ) . ص : ١٤٠
- 27- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده : ص: ١١٨ و أنظر : في النقد الأدبي القديم: مصطفى علي عمر : الطبعة الثالثة ، دار المعارف ١٩٩٢م ص١٧٧ . والنقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب . الطبعة الرابعة الدار العربية بيروت ١٩٦٦م. ص: ١٢٧ ونظرية النظم تاريخ وتطور حاتم صالح الضامن منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٩م ص: ٤٦
- 28- بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) : يوسف بكار . الطبعة الثانية دار الأندلس - بيروت ١٩٨٣م ص ١١٨ .
- 29- المرجع السابق : ص : ١١٩ - ١٢٠ .
- 30- دلائل الإعجاز : ص ٤٣
- 31- نفسه : ص : ٤٤
- 32- نفسه : ص: ٢٣٧ .
- 33- نفسه: ص: ٢٧١ .
- 34- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده : ص : ١١٤ و انظر أسرار البلاغة : ص: ١٦-١٧
- 35- المرجع السابق : ص : ١١٥ .
- 36- النقد الأدبي الحديث : ص: ٢٦٧ الحاشية.
- 37- نفسه : ص: ٢٧٧
- 38- بناء القصيدة في النقد العربي القديم : ص: 121
- 39- انظر : قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ص: ٣١٦ . و ص٢٨٨ وانظر النقد الأدبي الحديث : ص: ٢٧٢ .
- 40- أسرار البلاغة : ص: ٣ .
- 41- نفسه: ص: ٢ .

#### قائمة المراجع:

- 1 - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني وحتى القرن الثامن الهجري : الطبعة الثالثة دار الثقافة بيروت ١٩٨١م
2. - أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب : دار نهضة مصر للطباعة والنشر ( دون تاريخ ) .
٣. أحمد مطلوب ، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده. الطبعة الأولى بيروت ١٩٧٣م.
- ٤ - بدوي طبانة ، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : ، الطبعة الثالثة دار الثقافة بيروت ١٩٨١م.

- ٥- بدوي طبابه، البيان العربي: الطبعة الرابعة الأنجلو المصرية القاهرة - ١٩٦٨م.
- ٦- بدوي طبابه، قضايا النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية (دون تاريخ)
- ٧- حاتم صالح الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور: منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٩م. ٢١- النقد الأدبي أصوله ومناهجه
- ٨- حسن درويش، النقد الأدبي بين القدامى والحديثين مقاييسه واتجاهات وقضاياها العربي. النهضة المصرية (دون تاريخ)
- ٩- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، الطبعة الرابعة، الدار العربية بيروت 1966
- ١٠- شكري عياد، كتاب أرسطو طاليس في الشعر (نقل أي بشر متى بن يونس) حققه. ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية.. دار الكتاب العربي. القاهرة ١٩٦٧م.
- ١١- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ: الطبعة التاسعة دار المعارف بمصر ١٩٦٥م.
- ١٢- عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، أسرار البلاغة: صححها وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت دون تاريخ
- ١٣- عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ)، دلائل الإعجاز: صحح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا. دار المعرفة - بيروت (دون تاريخ).
- ١٤- عثمان مواني، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم: دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٦م.
- ١٥- قدامه بن جعفر ت (٣٢٧هـ)، نقد النثر: المكتبة العلمية بيروت ١٩٨٠م.
- ١٦- محمد بركات حمدي، معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني: الطبعة الأولى. دار الفكر الأردن ١٩٨٤م.
- ١٧- محمد خلف الله أحمد، من الوجوه النفسية في دراسة الأدب ونقده: الطبعة الثانية. معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة ١٩٧٥م.
- ١٨- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري: دار المعرفة الجامعية (دون تاريخ).
- ١٩- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: دار المعرفة الجامعية (دون تاريخ).
- ٢٠- محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث: الطبعة الأولى الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٥م
- ٢١- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث: دار نهضة مصر. القاهرة (دون تاريخ).
- ٢٢- محمد مندور، في الميزان الجديد. الطبعة الثالثة. دار نهضة مصر. القاهرة (دون تاريخ).
- ٢٣- مصطفى علي عمر، في النقد الأدبي القديم الطبعة الثالثة دار المعارف ١٩٩٢م.
- ٢٤- نعمة العزاوي، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: منشورات وزارة الثقافة الجمهورية العراقية (دون تاريخ).
- ٢٥- يوسف بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث. الطبعة الثانية دار الأندلس - بيروت ١٩٨٣م.



